داود الطائي

أعـلام التصـوف

داود الطائي

إنه من لو وزن بأهل الأرض لوزنهم فضلاً وصلاحاً، من لم يكن في حلقة أبي حنيفة أرفع صوتاً منه، من قال عنه معاصروه لو كان في الصحابة لبرز عليهم ولو كان في الأمم الماضية لقص الله علينا من خبره.

إنه الإمام الرباني داود بن نصير الطائي أبو سليمان أصله من خراسان وانتقل إلى الكوفة ونشأ بها سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى؛ روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم؛ وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته سنة 165 هـ.

وكان بدء توبته أنه دخل المقبرة، فسمع امرأة عند قبر تقول:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ∴ لقاؤك لا يرجى وأنت قريب
نريد تلاقى كل يوم وليلة ∴ وتبلى كما تبلى وأنت حبيب

وقيل: سبب زهده أنه سمع نائحة تندب وتقول:

بأي خديك تبدى البلى ∴ وأي عينيك إذا سالتا؟ (1)

(1) أخبار أبي حنيفة، 123.

ولما مات جاء الفقيه ابن السماك ووقف على قبره ثم قال:

أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غداً عليهم، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غداً عليهم، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شبعها، وأظمأتها وإنما تريد ريها، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، أخشنت الملبس وإنما تريد لينه؛ أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه، ومن الماء باردة، ومن اللباس لينه بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت، فما أيسر ما ضيعت، وأحقر ما فعلت في جنب ما أملت، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك، آنس ما يكون إذا كنت بالله خالياً وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس. سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتون. لا تقبل من السلطان عطية، ولا من الإخوان هدية، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك، ولا ستر على بابك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى لأحد صنيعاً.

[وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال: رحمك الله يا داود! كنت تسهر ليلك والناس نائمون، وكنت تربح إذ الناس يخسرون، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ حتى عدد فضائله كلها. ولما

فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله، وفرغ من دفنه وقام الناس [1].

وقيل إنه صام أربعين سنة ما علم به أحد من أهله، فكان يحمل غذاءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء، ولا يعلمون أنه صائم.

وقال له رجل: ألا تسرح لحيتك قال: إني عنها مشغول.

وقالت أخته: لو تنحيت عن الشمس، فقال: هذه خطي لا أدري كيف تكتب.

مواقف من حياته رحمه الله:

لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا

قال الوليد بن عقبة: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفاً فيعلقها بشريط ويفطر كل ليلة على رغيفين وملح وماء فأتي ليلة بفطره فجعل ينظر اليه ومولاة له تنظر إليه فقامت فجاءته بشيء من تمر فأفطر ثم قام فصلى حتى أصبح ثم أصبح صائماً فلما جاء وقت الإفطار أخذ الرغيفين وجعل ينظر إليهما قال الوليد بن عقبة: فحدثني جار له قال: سمعته يعاتب نفسه ويقول: اشتهيت البارحة تمراً قد أطعمتك واشتهيت الليلة تمراً لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا فما ذاقه حتى مات.

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 34، أخبار أبي حنيفة، 123، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 1 / 540، تاريخ بغداد، 8: 347، طبقات الشيرازي، ص 40، تهذيب التهذيب، 3: 203، حلية الأولياء 7: 335؛ وفيات الأعيان، 2 / 260.

فكان في اعتزالي أكثر العافية

قال القاسم بن معن: لما اعتزل داود الطائي أتيته فقلت: يا أبا سليمان تركت إخوانك ومجالسة من يذاكرك العلم فسكت طويلا ثم قال: رحمك الله إني رأيت قلوباً لاهية وألسنة مؤتلفة وهمماً مختلفة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فكان في اعتزالي أكثر العافية.

لقد هان الخلق على داود

عن حبان بن علي قال: احتاج الحسن بن قحطبة أن يسأل داود الطائي عن مسألة فهابه أن يأتيه وحده فقال لرجل من وجوه طيء وشيوخها: إني احتجت إلى لقاء داود فكن معي فأتياه فدخلا وسلما عليه ورد السلام عليهما فلما عرف ابن قحطبة تقبض وجعل لا ينظر إليهما فابتدأ الحسن فسأله عن المسألة فلم يجبه ولم يكلمه فأعاد عليه فأعرض بوجهه عنه فلما رأى ذلك ابن قحطبة خرج وتوقف الشيخ عنده فقال له: يا أبا سليمان يجيئك ابن عم لك يسألك من مسألة من أمر دينه فلا تجيبه فنظر إليه نظرة منكرة ثم قال{ييبيئائئهئوئوئوُ} [المؤمنون: ١٠١]، فقام الشيخ مبادراً فأصاب ابن قحطبة ينتظره فأخبره فقال ابن قحطبة: لقد هان الخلق على داود طوبى له ثم ذهب.

وهى تريد الجنة غدًا

ويروى أنه خرج يوماً إلى السوق، فرأى الرطب، فاشتهته نفسه، فجاء إلى البائع فقال: " أعطني بدرهم إلى الغد ". فقال له: " اذهب إلى عملك " فرآه بعض من يعرفه، فأخرج له صرة فيها مائة درهم، وقال له: " اذهب فإن أخذ منك بدرهم رطباً فالمائة لك ". فلحقه البائع، وقال له: " ارجع خذ حاجتك " فقال: لا حاجة لي فيه. أنا جربت هذه النفس، فلم أرها تسوى فى هذه الدنيا درهماً، وهى تريد

الجنة غداً ".

كان لنا عند الله مذخورا

عن حماد بن أبي حنيفة أن مولاة لداود الطائي كانت تخدمه فقالت له: لو صنعت لك دسماً قال: وددت فطبخت له شحماً وجاءت به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان قالت: على حالهم قال: اذهبي به إليهم قالت فديتك إنك لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا قال: إن هذا إذا أكلوه كان لنا عند الله مذخوراً وإذا أكلته كان في الحش [1].

أقل من إتياني

قال نعيم بن يعقوب: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كنت ربما أتيت داود الطائي فإذا أتيته تبينت ثقل موضعي عليه وأراه يتململ فقال لي يوماً يا سفيان أما لك شغل يا سفيان أقل من إتياني [2].

ولما شبت صرت مرائياً

ودخل عليه رجل، فقال له: " ما حاجتك؟ "، قال: " زيارتك " فقال: " أما أنت فقد فعلت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت لتزار؟ . من الزهاد؟ والله. أنت من العباد؟ لا والله. أنت من الصالحين؟ . لا والله ". ثم أقبل يوبخ نفسه " كنت في الشبيبة فاسقاً، ولما شبت صرت مرائياً ".

وأنا أستحي من الله

(1) أخبار أبي حنيفة، 1 / 121.
(2) أخبار أبي حنيفة، 123.

ودخل عليه بعض أصحابه، فرأى جرة ماء، قد انبسطت عليها الشمس، فقال له: " ألا تحملها إلى الظل؟ " فقال: " حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي من الله أن يراني أمشى لما فيه حظ نفسي ".

أدعه حتى أشتهيه

ودخل عليه رجل، فوجده يأكل ملحاً جريشاً بخبز يابس، فقال له: " كيف يشتهى هذا؟ " قال: " أدعه حتى أشتهيه " [1].

تلك ضالة لا توجد

وأتاه الفضيل بن عياض يعوده فقال له: أقلل من زيارتنا فإني خليت الناس فجاءه يوماً ولم يفتح له الباب فقعد فضيل يبكي فى الخارج وداود فى الداخل فقال له: دلني على رجل أجلس إليه قال: تلك ضالة لا توجد [2].

كنت أخاصم نفسي

وقال إسماعيل بن حسان: جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان قلت: سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً، قال: لا ولكن كنت أخاصم نفسي؛ اشتهت البارحة تمراً فخرجت فاشتريت لها، فلما جئت اشتهت جزراً، فأعطيت الله عهداً أن لا آكل تمراً ولا جزراً حتى ألقاه.

عتق رقابنا من الرق

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 34.
(2) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 1 / 540.

وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس؛ فقيل له: ما يجمع هذه إلا داود الطائي، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقالا: إن في قبولهما عتق رقابنا من الرق، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتي في النار، رداهما إليه وقولا له: إن ردهما على أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

فما أبقيت لآخرتي

قال أبو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي كسيرات يابسة، فعطشت فقمت إلى دن فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت دفاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا آكل إلا طيباً ولا ألبس إلا ليناً، فما أبقيت لآخرتي قال: قلت له: أوصني، قال: صم عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به.

فإني أحب أن أرزق وقتًا من الليل

وقال داود الطائي: ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل؛ فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل. قال أبو خالد: وبلغني أنه كان لا ينام الليل، [إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً]؛ ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء.

إنما يفعل هذا بالصبيان

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها [1].

رأيت خيرها كثيراً

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خيرها كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه قال:

صرت إلى خير الحمد لله، قال فقلت له: هل لك من علم بسفيان ابن سعيد فقال: كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير.

هذا إن قبلك

لقي رجلٌ داود الطّائي فقال: من أين يا داود وإلى أين؟ قال داود: استوحشت من الناس وأنست بالله تعالى، فقال: يا داود، هذا إن قبلك، فصاح صيحةً وخرّ مغشياً عليه ثم أفاق فقال: نبّهك الله إذ نبّهتني [2].

أحب أن أعيش في عز القناعة

(1) وفيات الأعيان، 2 / 262.
(2) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، 30/3، 46/8.

أصابت داود الطائي ضيقة شديدة، فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركه أبيه، فقال داود: هي من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه، ولو كنت قابلاً من أحد شيئاً لقبلتها إعظاماً للميت وإيجاباً للحي، ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة [1].

يقولون ما لا يفعلون

قال ثابت البناني: دخلت على داود الطائي فقال لي: ما حاجتك؟ قلت: زيارتك قال: ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال: كنت في زمن الشباب فاسقاً ثم تبت فصرت مرائياً والله إن المرائي لشر من الفاسق ويقال: كان الناس يراؤن بما يفعلون لا بما يقولون فصاروا يراؤن بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤن بما لا يقولون ولا يفعلون [2].

أردت أن تخدعني؟

وقال عطاء بن مسلم الحلبي: عاش داود عشرين سنة بثلثمائة درهم ينفقها على نفسه، فأتاه ابن أخيه فقال: عم تكره التجارة؟ قال: لا، قال: فأعطني شيئاً أتجر به، قال: فأعطاه ستين درهماً وقال: فمكث شهراً ثم جاءه بعشرين ومائة درهم فقال: هذه ربحها، فقال: أنت كل شهر تربح للدرهم درهماً؟ ينبغي أن يكون عندك بيت مال، أردت أن تخدعني؟ قال: فرمى بها عليه وقال: رد علي رأس مالي.

اللهم غفرًا

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 3، 124، 132، 185، 305، 487، 489.
(2) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 1 / 23.

ودخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان بعت كل شيء حتى التراب، وبقيت تحت نصف سقف، فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والبرد والمطر، فقال داود: اللهم غفراً، كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله، اخرج عني، فقد شغلت قلبي، إنّي أبادر جفوف القلم وطي الصحيفة. قال: يا أبا سليمان، أنا عطشان، قال: اخرج واشرب، فجعل يدور في الدار لا يجد ماء، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة، فقال: اللهم غفراً، بل هناك ماء، فخرج يلتمس فإذا دن من هذه الأصص الذي ينقل فيه الطين وخزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة فغرف بها فإذا ماء حار كأنه قد غلي لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه وقال: يا أبا سليمان: مثل هذا الحر؟ الناس يكادون ينسلخون من شدة الحر، ودن مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلة؟ فقال داود: حب حيري وجرة مذارية وقلال منقشة، وجارية حسناء وأثاث وناض - يعني بالناض الدنانير والدراهم 0وفضول، لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ها هنا، إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات، وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة. فقال: يا أبا سليمان ففي هذا الحر أين تنام وليس لك سطح؟ قال إني أستحي من مولاي أن يراني أخطو خطوة ألتمس راحة نفسي في الدنيا حتى يكون مولاي هو الذي يخرجني من الدنيا [1].

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 43.

اغتبت رجلاً في هذا الموضع

- مر داود الطائي رحمه الله تعالى يوماً بموضع فوقع مغشياً عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال: ذكرت أني اغتبت رجلاً في هذا الموضع فذكرت مطالبته لي بين يدي الله تعالى [1].

ما شعرت بذلك!!.

وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له، قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف، وقال: من ذا الذي طرحك من السطح، قال: ما شعرت بذلك!!.

لعل تركه أن يكون أنجى

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بألفي درهم وقال: هذا شيء جاء الله به لم تطلبه ولم تشره له نفسك. قال داود: إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك منه قال: لعل تركه أن يكون أنجى [2].

ما يوقفك هنا؟

وعن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: رأيت داود الطائي يومًا قائمًا على شاطئ الفرات مبهوتًا؛ فقلت: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى؟ [3].

(1) الصفوري، زهة المجالس ومنتخب النفائس، 1 / 77، 167.
(2) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1/ 367، 388، 2 / 175.
(3) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1412 - 1991، ص 91.

من كلامه رحمه الله:

- قال محمد بن عبد العزيز التيمي: قلت لداود الطائي: يا أبا سليمان بما أقوى على نفسي قال: بقذعها عما تحب وإخراجها عما لا يعنيها وبفعلها ما لا بد لها منه قلت: يا أبا سليمان فكيف السبيل إلى ذلك؟ قال: بقطعها عن رؤية العالم فهو أول باب تقوى به على ذلك فإذا فقدت رؤيتهم خلت من همومهم قلت: يا أبا سليمان إنها تطالبني بهم كثيراً قال: يا أبا محمد اقذعها اقذعها وإلا أوردتك المهالك [1].

- عن داود الطائي قال: ما أخرج الله تعالى عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس.

- عن بكر بن محمد العابد قال: قال لي داود الطائي: فر من الناس كما تفر من الأسد.

- اترك الدنيا قبل أن تتركك واعتبر فيها قبل أن يعتبر بك واحمد أيامها قبل أن تذمك وأعمرها بعمارة آخرتك وخربها بصلاح دينك وتزود منها ليوم وفاتك.

- وكان من دعاء داود الطائي: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا واكفنا من سعى علينا ولا تشمت بنا عدونا اكفنا كل هول بين أيدينا حتى تبلغنا من رحمتك ما أنت أهله آمين آمين آمين ثلاثاً.

(1) أخبار أبي حنيفة، 1 / 121.

- قال الوليد بن عقبة: سمعت داود الطائي يقول: كم من مسرور بأمر فيه هلكته وكم من كاره لأمر فيه صلاح دينه ودنياه غيبت عنا الخيرة فليس إلا التسليم والرضا والاستكانة والتضرع [1].

- وقال عبد الله بن إدريس، قلت لداود: " أوصني " فقال: " أقلل من معرفة الناس ". قلت: " زدني "، قال: " ارض باليسير من الدنيا، عن سلامة الدين، كما رضى أهل الدنيا بالدنيا، مع فساد الدين ". قلت: " زدني "، قال: " اجعل الدنيا كيوم صمته، ثم أفطر على الموت ".

- لا عبادة لمن لا مروءة له.

- ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر.

- من رضى بالدنيا كلها عوضاً عن الآخرة [2].

- العلم العمل فإذا فني العمر فى الآلة متى تعمل.

- وقال له الحارث بن إدريس عظني قال: عسكر الموتى ينتظرونك[3].

- قال داود الطائي: يا ابن آدم ارتحلك الحرص فأنساك أجلك، ونصب لك أملك ورب حريص محروم، وواجد مذموم.

(1) أخبار أبي حنيفة، 123.
(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 34.
(3) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 1 / 540.

- قال داود الطائي: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله قصر عمله [1].

- قال داود الطائي: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة بعد مرحلة، حتى تنتهي بهم إلى آخر سفرهم، فان استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب، والأمر أعجل من ذاك، وكأنك قد بغتك. وعنه: لا تمهر الدنيا دينك، فإن من أمهر الدنيا دينه زفت إليه الندم. وسأله رجل أراد أن يتعلم الرمي، فقال: أن الرمي حسن، ولكنها أيامك فانظر بم تقطعها.

- كلم فضيل داود الطائي في عزلته فقال: أن كان لك بدينك حاجة ففر من الناس فرارك من الأسد، ولقد جالستهم، اللهم غفراً، فأما صغيرهم فلا يوقرك، وأما كبيرهم فيحصى عليك عيوبك.

- قال داود الطائي: ما أخرج الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس.

- قال وكان داود الطائي يقول: اللهم خلص خلص، ويقول: إنما يسأل السلامة من لم يقع، أما من فإنما يسأل الخلاص.

- قال داود الطائي: أرأيت المحارب إذا أراد أن يلقى الحرب؟ أليس يجمع آلته؟ فإذا أفنى عمره في جمع الآلة فمتى يحارب؟ إن العلم آلة العمل، وإذا أفنى عمره في جمعه فمتى يعمل؟ كان إبراهيم بن أدهم يستقي ويرعى، ويعمل بكراء، ويحفظ البساتين للناس والمزارع، ويحصد بالنهار، ويصلي بالليل [2].

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص 29، 247.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 3، 124، 132، 185، 305، 487، 489.

- قال داود: اليأس سبيل أعمالنا هذه، ولكن القلوب تحن إلى الرجاء [1].

- قال داود الطائي: يا بن آدم، فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء أجلك، ثم سوفت بعملك، كأن منفعته لغيرك [2].

- وذكر داود الطائي عند بعض الأمراء؛ فأثنوا عليه فقال: «لو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذل لنا لسان بذكر خير أبدا».

- قال داود الطائي: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيراً وإن لم تنصب؛ أي حتى وإن لم تتعب فإن ما حصلته من اجتماع قلبك لله وقوة إرادة رضاه ومثوبته وكثرة الحرص على طاعته وشدة الرغبة فيها: أمر عظيم جداً؛ قال الفضيل: إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك.

- وقال داود الطائي أيضاً: البر همة التقي، ولو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا لردته يوماً نيته إلى أصلها.

- قال داود الطائي: إن للخوف حركات تعرف في الخائفين ومقامات تعرف في المحبين وإزعاجات تعرف في المشتاقين وأين أولئك؟! أولئك هم الفائزون.

- عن داود الطائي قال: أبت الدنيا أن تجري إلا بالاختلاط [3].

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 43.
(2) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 5 / 244.
(3) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1/ 367، 388، 2 / 175.

- قالت أم سعيد بن علقمة النخعي وكانت أمه طائية: كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير فكنت أسمع حسه عامة الليل لا يهدأ

قالت: وربما سمعته يقول في جوف الليل: اللهم همك عطل علي الهموم وحالف بيني وبين السهاد وشوقي إلى النظر إليك أوشق من وحال بيني وبينك اللذات فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب.

قالت: وربما ترنم في السحر بالشيء في القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا جع في ترنمه. وقالت: وكان يطوف في الدار وحده وكأنه لا يصبح فيها [1].

* * *

(1) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1412 - 1991، ص 91.